قراءة في كتاب: "الأدب والتحليل النفسي" لحسن المودن
ما معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم؟

A reading in the book: "Literature and Psychoanalysis" by Hassan El Mouden
What does it mean to be a psychological critic today?

أ. عبد الحي طالبي

طالب باحث بسلك الدكتوراة

جامعة القاضي عياض، مراكش

talbi82@hotmail.fr

قراءة في كتاب: "الأدب والتحليل النفسي" لحسن المودن

ما معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم؟[1]

أ. عبد الحي طالبي

ملخص:

يثير كتاب "الأدب والتحليل النفسي" للناقد والمترجم المغربي حسن المودن، سؤالا بالغ الأهمية هو: ما معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم؟ وهو سؤال ينطوي على أسئلة فرعية حول هوية الناقد النفسي ووظيفة: مَن يكون؟ وما دوره؟ وما الذي يمكن أن يضيفه؟ فيم يختلف ناقد اليوم عن ناقد الأمس؟ ما الثابت والمتغير في النقد النفسي؟ وما دوافع التغيير في آليات ومنطلقات النقد النفسي، ما آفاق التجديد؟

ولو كان لنا أن نلخص الجواب لقلنا: إن معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم هو أن تكون قارئا جيدا؛ أن تقرأ الأدب والتحليل النفسي، وتعيد قراءة ما قيل حولهما.. وأن تنصت بإمعان إلى ما تقوله النصوص وتجتهد في محاورتها بناءً على ما تتيحه علوم "اليوم" من آفاق؛ فلا تكتفي بدراسة الأدب من منظور التحليل النفسي، بل تتجه أيضا (وأساسا) إلى اختبار حدود فعالية هذا التحليل من خلال الأدب؛ أي أن تنتقل من اعتبار النصوص موضوعا للقراءة إلى اعتبارها أداة ومرجعا للقراءة.

كلمات مفاتيح: الأدب، التحليل النفسي، النقد النفسي، سيجموند فرويد، بيير بيار.

1- هذا هو العنوان الفرعي لكتاب حسن المودن. وأما العنوان المثبت على الصفحة الأولى فهو: الأدب والتحليل النفسي، والذي صدر عن وزارة الثقافة والرياضة ـ قطر، كتاب الدوحة رقم 99، غشت 2019.

Abstract:

The book "Literature and Psychoanalysis" by Moroccan critic and translator Hassan El Mouden raises a very important question: What does it mean to be a psychological critic today? It is a question that includes sub-questions about the identity and function of the psychoanalyst: who is he, what is his role, and what can he add? How does today's critic differ from yesterday's critic? What is constant and variable in psychological criticism? What are the motives for change in the mechanisms and starting points of psychological criticism, what are the prospects for renewal?

If we were to summarize the answer, we would say: What it means to be a psychological critic today is to be a good reader; To read literature and psychoanalysis, and re-read what has been said about them. and to listen carefully to what the texts say and strive in their dialogue based on the horizons offered by the sciences of “today”; It is not satisfied with studying literature from the perspective of psychoanalysis, but also tends (and mainly) to test the limits of the effectiveness of this analysis through literature; That is, to move from considering texts as a subject of reading to considering them as a tool and reference for reading.

Keywords: literature, psychoanalysis, psychological criticism, Sigmund Freud, Pierre Bayard.

1- تمهيد:

لابأس أن نشير، ابتداء، إلى أن هناك تراكمات هامة في مجال الأدب والتحليل النفسي؛ فمنذ أن ظهرت إلى الوجود الكتابات التأسيسية والمُلهمة لسيجموند فرويد في القرن التاسع عشر، بخلفياتها وإحالاتها المباشرة على الأدب (التراجيديات اليونانية، مسرحيات شكسبير، روايات دوستويفسكي...) منذ ذلك الحين والدراسات النفسية تتوالى، سواء على يد تلاميذ فرويد وقرَّائه من العلماء النفسانيين (جاك لاكان، غوستاف يونغ، ألفرد أدلر...)، أو على يد نقاد الأدب الذين استثمروا نتائج دراسات هؤلاء العلماء، فشقوا لأنفسهم طريقا مغايرا للمعهود في الدراسات الأدبية أملا في معرفة أمثلَ بالنص الأدبي، على غرار ما نجد في دراسات شارل مورون، ورولان بارث وجان بيلمان نويل وبيير بيار...

وبالنظر إلى الآفاق الجديدة التي فتحتها تلك المؤلفات، فقد وجدنا أصداءً قوية للتحليل النفسي في النقد العربي الحديث؛ إذ ظهرت ترجمات ودراسات كثيرة (نظرية وتطبيقية)، تعرف بعلم النفس وتستلهم مفاهيمه ومصطلحاته في تحليل الأعمال الأدبية وتقويمها. وفي هذا الصدد نذكر ترجمات ودراسات مصطفى صفوان وجورج طرابيشي وشاكر عبد الحميد... كما نذكر دراسات أدبية من قبيل دراسة عز الدين إسماعيل " التفسير النفسي للأدب"، ودراسة محمد النويهي الموسومة بـ: "نفسية أبي نواس" ودراسات العقاد حول ابن الرومي والحطيئة وأبي نواس، ودراسة جورج طرابيشي: "عقدة أوديب في الرواية العربية"، ودراسة خريستو نجم: "النرجسية في أدب نزار قباني"...

هكذا يتبين، أن موضوع الأدب والتحليل النفسي ليس جديدا على الساحة العالمية ولا على الساحة العربية، وهو ما قد يوحي للقارئ بأن كتاب "الأدب والتحليل النفسي" لحسن المودن (موضوع هذه المراجعة) سينضاف إلى سلسلة الكتب والدراسات النفسية الموجودة والمعروفة سلفا، لكن السؤال ـ العنوان الفرعي الذي نصادفه في الصفحة الثانية: "ما معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم؟" يخلخل ذلك الانطباع، ويدفعنا بما فيه من قوة حجاجية إلى ترديد ذات السؤال والانشغال بما تحته من دلالات وما يحبل به من آفاق. إن السؤال عن المعنى (المطلوب على الدوام) بضمير المخاطب (تكون) حالا (اليوم)... كل ذلك يحفز القارئ ويحمله على الاهتمام بما في هذا الكتاب. فكأنه يخاطبه قائلا له، بعدما أدمجه في الموضوع بقوة سؤاله: إن شئت دراسة راهنةً عن الأدب والتحليل النفسي، وإن شئت بيانا بمهمة الناقد النفسي اليوم، فدونَك هذا الكتاب. إنه، إذن، سؤال لا يكتفي بحصر الموضوع ولا بإثارة القارئ، بل هو يعد بدراسة راهنة ومختلفة عن المعهود، تسائل ما مضى وتفحص حدود جدواه في واقعنا اليوم. إنه يدعونا إلى منظور جديد ومغاير عن السائد من المنظورات التي عُنيت بمسألة الأدب والتحليل والنفسي. فما هو هذا المنظور الجديد؟ وما القيمة المنهجية والمعرفية التي يعد بها قياسا إلى "المنظورات التقليدية"؟

لا بأس أن نشير أولا إلى أن هذا الكتاب يعود للناقد والمترجم المغربي حسن المودن. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن ورود اسم حسن المودن على غلاف الكتاب سببٌ كاف للعناية به؛ نظرا إلى الإسهامات الكثيرة والنوعية

لهذا المؤلف في المجال النقدي عموما، وفي مجال النقد النفسي ترجمة وتأليفا على وجه التحديد[1]. وهي مؤلفات تجعلنا نقول عنه إنه حُجةٌ في هذا المجال، و "كلامُ الحُجَّة حجةٌ" كما يقال.

2- في التعريف بإشكالية الكتاب:

يضم هذا الكتاب أربعة فصول ومقدمة تأطيرية للإشكاليات التي يطرحها والقضايا التي يثيرها، ثم خاتمة فريدة تطل على فرويد من زاوية أخرى غير مألوفة: فرويد باعتباره "أديبا" أو شخصية أدبية.

يتقاطع في هذه الفصول الانشغالُ بالتعريف والإيضاح والتقريب مع همّ الدفاع عن الأطروحة القائلة بأن: "الأدب، لا التحليل النفسي، هو المصدر الأساس للتنظيرات والتصورات النفسية"(ص10)، وأن " تطبيق الأدب على التحليل النفسي هو الطريق المثمر الناجع، لأن التحليل النفسي كسول، سرعان ما يركن إلى مسلماته على أنها الحقيقة كلها! (ص96).

وهي أطروحة أملت العودة إلى البدايات التي تَشكَّل فيها التحليل النفسي مع فرويد ومواكبة "المآلات السلبية" لتطبيق هذا التحليل، حين انغلق على ذاته وهمَّش النص والقارئ، ثم القراءات المبدعة، التي لم ترض ولم تقتنع بما تم تشييده من جدران وحواجز "مفتعلة" بين التحليل النفسي واللغة والأدب والنقد، بين التخييل والتّحقيق، بين الذّاتي والموضوعي، العلمي والأدبي... فطوّرت التحليل وجدّدته، انطلاقا من مداخل متعددة.

تُنبّهنا هذه القراءات المُجددة التي كثف المؤلف مفهوماتها ومناهجها ولخص أهدافها، إلى أن معرفة النفس الانسانية "ورش" مفتوح، وأنها ليست حكرا على التحليل النفسي. وأن هذه المعرفة لا يمكن أن تكون "علمية" إلا بقدر ما تكون حوارية مع النصوص؛ تتفاعل في تشييدها وإِغنائها مختلف الحقول المعرفية ذات الصلة باللغة والأدب تحديدا؛ ومن شأن الإنصات إليها (والأدب على رأسها) أن يُثمر معرفة متميزة ومغايرة ومتجاوِزة لتلك التي أنتجها فرويد نفسه.

3- الأدب والتحليل النفسي؛ آن للأدب أن يتكلم، وآن للتّحليل أن ينصت:

يحيل العنوان الرئيس للكتاب على حقلين معرفيين كبيرين هما: الأدب، بوصفه ممارسة إنسانية تخييلية، تعكس إلى حد كبير ما يعتمل في النفس الإنسانية، والتحليلُ النفسي، بوصفه ممارسة "علمية" عقلانية تتوق إلى الإحاطة الموضوعية "الدقيقة" بالنفس الإنسانية. والربط بينهما يسمح بافتراض اشتباكهما وتأثير أحدهما في الآخر؛ فتارة يمكن الحديث عن الأدب من منظور التحليل النفسي، وتارة أخرى

1- حسن المودن، أكاديمي وناقد ومترجم مغربي من مواليد سنة 1963، له مؤلفات كثيرة نذكر منها: لاوعي النص في روايات الطيب صالح، قراءة من منظور التحليل النفسي (2000)، الكتابة والتحول (2002)، مغامرات الكتابة في القصة القصيرة (2013)، الرواية العربية: من الرواية العائلية إلى محكي الانتساب العائلي (2017)، القصة القصيرة والتحليل النفسي (2018)، "قراءة نفسانية في قصة النبي يوسف، من عقدة أوديب إلى عقدة الأخوة" (2014)، الرواية وشعرية اليتم (2022)... ومن ترجماته: كتاب جان بيلمان نويل: التحليل النفسي والأدب، (ط1/1997، ط2/2007)، كتاب بيير بيار: الرواية البوليسية والتحليل النفسي (2015)...

يمكن الحديث عن التحليل النفسي من منظور الأدب، وأخرى عن تفاعلهما معا، بحيث ينتجان دون أن يطغى أحدهما على الآخر. معرفة أسمى؛ هي حاصل التكامل بين الخبرة "العلمية" للتحليل النفسي. بأدواته ومصطلحاته وتجاربه. والرؤية الأدبية المتفردة التي تحملها النصوص الأدبية والمحكيات الإنسانية عموما. إنها معرفة لا يمكن التطلع إليها دون إنصات وتواضع وحوار وتنسيب يحدّ من الجموح والاستعلاء التقليديين اللذَين درج عليهما بعض النّقاد النّفسيين الذين عملوا على تكريس و"تقديس" منظورات معينة وآليات محددة، دأبت على اعتبار الأدب موضوعا للتجريب والتطبيق والإسقاط. ولو تأملوا قليلا لأيقنوا أنه "لم يعد مقنعا أن يخضع الأدب لمسلمات التحليل النفسي وتمريناته التي أصابها الجمود والإفلاس، من دون أن يكون له الحق في الكلام، أو في الاعتراض، أو في المساهمة في بناء تصورات نفسانية جديدة للإنسان، ولغته وأدبه"(ص 6).

هناك، إذن، خلل في طبيعة العلاقة التي تمّ بناؤها بين حقلي الأدب والتحليل النفسي، انعكست سلبا على هوية الناقد النفسي ووظيفته، فحولته الى مجرد "تقني" يرى ولا يسمع! وقد آن الأوان أن يعاد النظر في تلك العلاقة، بالشكل الذي يحفظ للناقد هوية منفتحة، ويحفظ للحقلين المعرفيين خصوبتهما وخصوصيتهما، ويمكّن، بالنتيجة، من استثمارهما معا في أفق فهم أفضل للنفس الإنسانية. لا بد، إذن، من مراجعة تراكمات مائة سنة من الهيمنة والاستتباع؛ لا بد من الاعتراف بالحاجة إلى إعادة القراءة، والحاجة إلى ضرورة التقويم والتجاوز...

إن للأدب "ما يقوله للتحليل النفسي". أليس هو المصدر الأساس للتنظيرات الأولى التي صاغها المؤسس فرويد؟ أليس هو المنبع الذي لا ينضب للمادة النفسية التي يشتغل بها التحليل النفسي؟ وإذا كان الجواب بالإقرار، فلماذا لا ننخرط في تصحيح الانحراف الذي طرأ على اتّجاه العلاقة، لماذا لا نعيد قراءة المنجَز مستلهمين طريقة عمل فرويد نفسه حين أعلى من قيمة النصوص وأدرك قيمة الأدباء، فـ"اختار مبكرا أن تكون (أرض الكتابة والتخييل) مسكنه الأبدي، وعيا منه بأن التحليل النفسي مثل الأدب مجبر على المرور من خلال التعبير الأدبي، ومن خلال السرد والتخييل..."؟ ص(135) لماذا لا نتساءل، على غرار ما فعل بيير بيار، مقترحا التحرّر من المعرفة الجاهزة والإنصات إلى ما يمكن أن تقدمه الأعمال الأدبية الكبرى: هل من الممكن تطبيق الأدب على التحليل النفسي؟

يبدو أنه آن الأوان لإعادة النظر في دور الناقد والمحلّل. آن الأوان أن يقال: إن دوره ليس" تأكيد صحة ما تقوله النظريات" الجاهزة، التي لا تستدعي النصوص إلا لتشهد لها على الاتساق والإحكام، بل على العكس من ذلك، يتمثل دوره في قراءة وإعادة قراءة الأعمال الأدبية باعتبارها "حمَّالة أوجه"؛ باعتبارها منابع ومصادر لـ"حقائق نفسانية" متجددة يمكن الكشف عنها بالتأويل والدراسة.

4- ما معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم؟ (القراءة سبيل للتجاوز):

يضمر هذا السؤال أسئلة فرعية حول هوية الناقد النفسي ووظيفة: من يكون، وما دوره، وما الذي يمكن أن يضيفه؟ فيم يختلف ناقد اليوم عن ناقد الأمس؟ ما الثابت والمتغير في النقد النفسي؟ وما دوافع التغيير في آليات ومنطلقات النقد النفسي، ما آفاق التجديد؟....

يقدم الكاتب نماذج منتقاة بعناية، للقراءات النوعية الفارقة، التي أسهمت، بتراكمها، في تشكيل صورة النقد النفسي اليوم، ومن ثَم، في تحديد هوية الناقد النفسي. ولو كان لنا أن نلخص الجواب عن السؤال المركزي في هذا الكتاب: ما معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم؟ لقلنا: إن معنى ذلك هو أن تكون قارئا جيدا؛ تقرأ الأدب والتحليل النفسي، وتعيد قراءة ما قيل حولهما... تنصت بإمعان إلى ما تقوله النصوص وتجتهد في محاورتها بناء على ما تتيحه علوم "اليوم" من آفاق، فلا تكتفي بدراسة الأدب من منظور التحليل النفسي، بل تتجه أيضا (وأساسا) إلى اختبار حدود فعالية هذا التحليل من خلال الأدب؛ أي أن تنتقل من اعتبار النصوص موضوعا للقراءة إلى اعتبارها أداة ومرجعا للقراءة.

وبعبارة أخرى أكثر تفصيلا؛ فأن تكون ناقدا نفسيا اليوم، يعني:

- أن تكون كفرويد القارئ الشغوف بالنصوص الأدبية والمحلل العليم بها والكاتب التواق إلى استشراف خبايا النفس الإنسانية من خلالها؛ فلا تغفل عن الصرامة التي يقتضيها المنهج العلمي، ولا تسقط في "استصنام" هذا المنهج وتقديسه، بل تنصت بإمعان وتزاوج، بإبداع بين التنظير والتحليل.

- وأن تكون كجاك لاكان، قارئ فرويد والمؤسس الثاني للتحليل النفسي، ومشيد الجسور بين الأدب واللسانيات والتحليل النفسي.

- وأن تكون كرولان بارت؛ إذ راجع (مستندا على اللسانيات والتحليل النفسي) مسلمات عصره النقدية النفسية البيوغرافية باحثا عن أفق معرفي ومنهجي جديد، يحفظ للنص استقلاليته وخصوصيته ويمكّن من فهم أعمق لنفسية الإنسان كإنسان، لا بوصفه مؤلف نص فقط.

- أن تكون كجان بيلمان نويل؛ فتطور تصوراتك ومنهجك، وتجدّد مفاهيمك وأدواتك مستفيدا من التطور المعرفي، ثم تؤمن بأهمية النص والقارئ وبضرورة الإنصات المتبادل بين لاوعيك بصفتك قارئا ولاوعي الآخر؛ وأن تنصت إلى النص معناه أن تصغي بكل ذاتيتك، إلى ما في النص من هذا الشيء الذي لا يقال ومن هذا الشيء الذي لا يقبل الوصف (الدلالة اللاواعية للنص). والقراءة، باعتبارها حدثا تفاعليا، واستدعاء للاوعي، وبما هي تفعيل لمبدأ التحويل الذاتي، وبما هي تجديد مستمر للنص؛ تتفاوت قيمته وأهميته بحسب "أهلية" المحلل المؤول واستعداده وقدرته على الانخراط الكلّي أثناء القراءة (ص50).

- أن تعمل، في حال انشغالك بالترجمة، بوصية فرويد: "على المترجم أن يكون في أعماقه محللا نفسيا، ويستبدل جميع الأمثلة بأمثلة من لغته الأم"؛ فأن تترجم يعني أن تقدم قراءتك وتحليلك للمقروء؛ فلا تنشغل بنقل المعنى فقط، بل تلتقط ما يحيل عليه أيضا وما يرمز إليه (في الكتاب تحليل طريف لمسألة "استحالة" ترجمة نصوص جاك لاكان الغامضة: لاكان منظر، والنشاط النظري [الذي لا يخلو من هذيان]

هو تصوير كلي أو جزئي للعالم وهو يستخدم، مثله مثل كل نشاط ثقافي، عددا معينا من الاستيهامات، وأبرزها هنا هو استيهام القدرة الكلية Toute Puissance (ص75).

- أن تكون كبورخيس؛ فتعيد قراءة فرويد وتجتهد في تطبيق الأدب على التحليل النفسي، فتنتج طريقة خاصة "للتعبير عن وجود احتمالات أخرى، عندما يتعلق الأمر بالعلاقة بين الابن والأب" (ص84).

- أن تثور، كما فعل بيير بيار، على هيمنة التحليل النفسي وابتلاعه للأدب وتربعه على عرش "كل المعارف الممكنة حول الجهاز النفسي"؛ وتعمل على "استيلاد التحليل النفسي من الأعمال الأدبية ذاتها"، وهذا يستلزم تحررا من المعارف الجاهزة، ويتطلب محللا قارئا يجدد نفسه بالقراءة المتواصلة للأدب وللتحليل النفسي، فيخلق حوارا بين النص والنظرية والمنهج من أجل فهم متجدد للإنسان ولغته وأدبه (ص103). إن ممارسة النقد النفسي تعني الثقة بأن الشعراء والروائيين هم العارفون بالنفس البشرية، هم المعلمون وهم الخبراء، مثلما قال فرويد... وتعني أيضا ألا يقنع الناقد بما يقال، فقد يخطئ المنظِّرون والنقاد والمحققون والقراء... ومهمة هذا الناقد المؤول أن يؤدي" دور الباحث المحقق منافسا بذلك أكبر المحققين في الأدب البوليسي" ص(109). إنه يدعو إلى إعادة النظر في عمل المؤول أو القارئ وطريقة اشتغاله، منفتحا على أنماط من القول "العلمي" و"الأدبي" (محكي السفر، الصحافة، الأنتروبولوجيا، النقد باعتباره محكيا نظريا)، كاشفا ما تنطوي عليه من تداخل بين التخييل والتحقيق، ولافتا النظر إلى أن التأويل، أيضا، لا يخلو من هذيان، مما يعني أن القراءة مفتوحة على النصوص وعلى ما قيل حول النصوص.

- وأن تكون مثل هؤلاء، لا يعني أن تقلّدهم، بل أن تستلهم روحهم المرنة في القراءة والحوار مع النصوص ومع النظريات والمناهج والمفاهيم، حتى ولو أدّت هذه الروح إلى نقد ما أتى به هؤلاء أنفسهم.

- أخيرا، أن تكون ناقدا نفسيا اليوم، يعني أن تضع نصب عينيك أن "العلاقة بين الأدب والتحليل النفسي أكثر تداخلا وتعقيدا مما نتصور، [وربما] لسبب بسيط وأساس هو أنهما يمثلان معا أرض غرائزنا وأحلامنا، أسرارنا ورغائبنا، جراحاتنا وآلامنا الدفينة، وحميميتنا السرية"(ص136).

5- على سبيل الختم:

إجمالا، نقول إننا أمام كتاب مهمّ جدا، حول قضية شائكة جدا هي قضية العلاقة بين التحليل النفسي والأدب، ومعنى ممارسة التحليل النفسي اليوم.

لقد حاول الناقد حسن المودن التعريف بالتحليل النفسي وروّاده وبالمنظورات النقدية المرتبطة به، محاولا تتبّع نشأتها وتطورها برصد منعطفاتها الحاسمة: فرويد، لاكان، بارث، بيلمان، بيير بيار... وأثناء ذلك كان حريصا على إيضاح وبسط الإشكالات والقضايا المتعلقة بالنقد النفسي.

صيغ الكتاب بنَفس استدلالي صريح (تعريفات دقيقة، نصوص للاستشهاد...) توخى به تحقيق القيمة الاعتبارية للأدب وتأكيدها، وهي الأطروحة المركزية في الكتاب؛ فالأدب هو المنطلق للتحليل النفسي، والمغذي المستمرّ له، وهو أكبر من أن يكون مجالا للتطبيق والاختبار... لكن هذا النفس الاستدلالي المتميز بالإحكام جاء متّسما بكثير من "التأدب"، بعيدا عن السّجال والتشنج؛ تطّرد فيه الأسئلة الواضحة

والدقيقة المتصلة جوهريا بالموضوع.. وتكثر عبارات من قبيل: يبدو لي، حاولنا أن نوضّح، يمكن أن نفترض... وهي عبارات تبتعد عن البداهات الجاهزة والأحكام القطعية، وتقترب من روح العلوم الإنسانية المنفتحة والنسبية. ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه الأساليب من قوة تبليغية وإقناعية.

ونظرا لغنى المادة النظرية وتشعّبها، فقد سلك المؤلف مسلك الشرح والتفسير (أمثلة، مقارنات، تعريفات، سرد لتطور نظرية ما أو مشروع ناقد ما...) واعتمد آليات التقريب (اجتهاد في النقل البيداغوجي، تبسيط لعدد من القضايا المعقدة، دقة في ترجمة بعض المصطلحات ونقلها بلغة قريبة من دائرة تداول المتلقي العربي، هوامش للتوسع والتنوير، بيبليوغرافيا غنية ومتنوعة...) والتلخيص (بعبارة واحدة، باختصار، بإيجاز، باختزال شديد، إجمالا، والخلاصة...).

مسألة واحدة، تبدو لي في حاجة إلى تفصيل أكبر في هذا الكتاب المتميز، هي: حين نطبق الأدب على التحليل النفسي، فهل نفعل ذلك بمفاهيم الأدب - التي لا تعدو كونها كلمات - أم بمفاهيم علم النفس؟ وحتى لو تمّ الارتقاء بالكلمات الأدبية إلى مستوى المفاهيم، فما مدى كفايتها التحليلية والتفسيرية؛ هل ستكون أكثر تفسيريّة من المفاهيم النفسيّة التي يراد تجاوزها (والتي هي الأخرى مستنبتة ومجردة من الأعمال الأدبية)؟ هل سيكون النموذج "المستولد من الأعمال الأدبية" علما متسقا قادرا على منافسة النماذج المتوفرة حاليا (وهو الذي لا يفتأ موظفا مفاهيمها) أم أنه لا يتوق أصلا إلى "العلمية"؟ هل يمكن أن نتحدث حينها عن نماذج وعلوم نفسية مختلفة باختلاف "المدوَّنات" والمحكيات والثقافات أم عن علم كوني واحد شبيه بعلم النفس الحالي؟